الفلسفة التحليلية المعاصرة، من اللغة الصورية إلى اللغة العادية

محمد بن سباع
جامعة عبد الحميد مهري. قسنطينة ❖ الجزائر

ملخص

يشترك أغلب الفلاسفة التحليليين في تأكيدهم على أن غموض المشكلات الفلسفية التقليدية يترتب عن سوء فهمنا للغة ولمنطقها الداخلي، كما بين لنا راسل في نظرية "الأوصاف" مثلا التي تكمن أهميتها في كونها تعبر عن لغة فلسفية جديدة، ميزتها الدقة والوضوح في التعبير عن القضايا وصياغة النتائج. أما فلسفة فتجنشتين التحليلية، فتنقسم إلى نظريتين تعبر كل واحدة عن مفهوم ووظيفة مختلفين للغة، فاللغة في نظرية "الرسم المنطقي للعالم" صورية منطقية تنحصر وظيفتها في التعبير عن وقائع العالم. أما في نظرية "الألعاب اللغوية" فهي اللغة العادية، التي تؤدي وظيفة التواصل. وعليه، فقد اتجهت نظرية "أفعال الكلام" عند جون أوستين إلى دراسة اللغة العادية فقط ومنه بحثها في علاقة المعاني بفعل النطق الذي يترتب عنه وجود الشيء، إلى أن جاء جون سيرل، فأعطى هذه النظرية أبعادا تواصلية جديدة، خصوصا عندما ربط الفعل الكلامي بالعرف اللغوي الاجتماعي.

الكلمات المفتاحية: الفلسفة التحليلية، اللغة الصورية، اللغة العادية، وظيفة التواصل

Abstract

Most Analysts philosophers confirm that the mastery of traditional philosophical problems resulted from our misunderstanding of the language and its internal logic, and that's what Russel evidenced it in the theory of „Description„ whose importance lies in that it reflects a new philosophical language known by its precision and clarity of expressing issues and listing results. However, Wittgenstein philosophy is divided into two theories, each one expresses a different concept and role of the language. In the theory of logical reasoning of the world, its role is limited just to how world's events are expressed. As for the theory of „linguistics games,„ it is an ordinary language that leads to the function of communication. The theory of „verbal action ," according to John Austin, studied just the ordinary language, and looking for the relationship of meanings by pronunciation, which resulted in the existence of things. Till the coming of John Searle who gave this theory new dimensions especially when he linked the verbal act with the sociolinguistic dimension.

Keywords: *analytic philosophy, logical language, ordinary language, communicative function*

مقدمة

لقد سعت الفلسفة المعاصرة إلى تجاوز مفهوم الفلسفة ووظيفتها بالمعنى التقليدي، القائم على طرح المشكلات الميتافيزيقية، والتوجه - تحت تأثير التَّطَوُّر الحاصل في ميدان المعرفة العلمية المعاصرة- إلى الاشتغال على قضايا العلم، سعيا إلى بلوغ الدقة والوضوح، وهذا الهدف هو ما تسعى الفلسفة التحليلية إلى تحقيقه. هكذا، فقد تبلور مضمون فلسفة اللغة المعاصرة في إطار الإسهامات التي قدمها الفلاسفة التحليليون من أمثال برتراند راسل ولودفج فتجنشتين، لأن الاتجاه التحليلي رأى أن المشكلات الفلسفية هي بالأساس مشكلات لغوية.

لقد دعت الفلسفة التحليلية المعاصرة إلى تحويل الفلسفة العامة إلى فلسفة للغة، حتى إننا نجد أيضا من الفلاسفة التحليليين من يختص فقط بدراسات المشكلات اللغوية، ولا يَكتُبُ إلا في اللغة وعن اللغة، وهذا ما نجده مثلا في أعمال فلاسفة مدرسة أكسفورد، أو ما يسمى بالفلسفة ما بعد-التحليلية خصوصا عند جون سيرل وجون أوستين، مع تسجيل تَحَوُّل هذه الفلسفة التحليلية المتأخرة إلى دراسة اللغة العادية لا لغة العلم. لقد ترتب عن هذا الوضع الجديد، ظهور الكثير من الآراء والنظريات اللغوية التي لم تكن موجودة من قبل، والتي جعلت من اللغة مبحثا فلسفيا مستقلا قائما بذاته. فمن هم أهم الفلاسفة التحليليين المعاصرين، وما هي آراؤهم اللغوية ؟ وكيف تم التحول من دراسة اللغة الصورية إلى اللغة العادية ؟

أولا: نظرية الأوصاف عند برتراند راسل

إذا كان الكثير من الدارسين والمختصين في فلسفة اللغة المعاصرة، يَرَونَ أن الظُّهُور الفعلي لفلسفة اللغة كان مع ما يسمى بالاتجاه التحليلي المعاصر فإن نظرية "الأوصاف" عند الفيلسوف الانجليزي برتراند راسل تعتبر أبرز النظريات التي قدمتها الفلسفة التحليلية، وهذا ما يتضح من خلال المبادئ التي تقوم عليها هذه النظرية.

1ـ من دالة القضية إلى الوصف المحدد

لا تعتبر نظرية "الأوصاف" أبرز النظريات التي قدمها راسل فحسب، بل أهم نظريات الفلسفة والمنطق المعاصرين، ويرجع تأسيس راسل لهذه النظرية إلى تَأَثُّره بفكرة "الإحساس بالواقع" عند الفلاسفة التجريبيين، سواء المحدثين من أمثال دافيد هيوم David hume (1711-1776)، أو المعاصرين من أمثال أرنست ماخ Ernest Mach (1838-1916) وكذلك نقده للمنطق الصوري التقليدي الذي يَحكُمُ على صدق أو كذب القضايا، بالاعتماد فقط على صورتها النحوية، وهذا ما يؤكده راسل في قوله: "عند اعتبار أن الصدق والزيف ينطبقان على الجمل، يوجد وفقا لنظرية المعرفة طرازان من الجمل: تلك التي يمكن استنباط صدقها أو زيفها من علاقاتها النحوية بغيرها من الجمل، وتلك التي يُشتَقُ صدقها أو زيفها من العلاقة بشيء يمكن أن يسمى "حقيقة"، فالمشكلات التي نهتم بها حالياً، تنشأ فقط بالنسبة للجمل التي من الطراز الثاني، حيث إذا عرفنا الصدق والزيف لهذه الجمل، فإن المشكلات التي تتبقى تنتمي إلى النحو أو المنطق، فلنحصر أنفسنا إذن، في الجمل ذات الدلالة من الطراز الذَّرِّي"[1]. فإذا كانت لدينا القضيتين "نجح الطالب" و"نجح عمر" فمن وجهة النظر النحوية المنطقية التقليدية، هما قضيتين من نفس الصورة، لكن الفرق بينهما حسب تصور نظرية "الأوصاف" عند راسل، هما قضيتين مختلفتين، فالأولى دالة قضية، أما الثانية فتصف شخصا مُحَدَّدًا هو "عمر"، وعليه من المهم التأكيد على أنه: "مع أن الحروف المستخدمة ترمز إلى متغيرات وأن النتائج صحيحة عندما تأخذ المتغيرات قَيَمًا هي ذاتها قضايا، فإن هذه القيم ينبغي أن تكون قضايا حَقَّة، لا دوال قضايا. فقولك (ق قضية) لا يتحقق إذا وضعنا بدلا من ق (س إنسان)، ولكنه يتحقق إذا وضعنا (سقراط إنسان) وباختصار يمكننا أن نقول، إن القضايا الممثلة في هذا الحساب التحليلي برموز هي متغيرات، ولكنها لا تشتمل على متغيرات عندما يُرادُ تحقيق فروض القضية التي يقررها هذا التحليل"[2]. وهكذا، يتجلى لنا البعد المنطقي الفلسفي لهذا التصور الجديد الذي قدمه راسل للقضية المنطقية، ومنه مبرر توجه نظرية"الأوصاف" إلى دراسة العبارة الوصفية.

2ـ الوصف كأساس لتحديد معنى العبارة

إن نظرية "الأوصاف" ببساطة، هي طريقة لتحليل القضايا (أو العبارات) التي ترد فيها جمل وصفية. وتهدف هذه النظرية، إلى استبعاد الجمل، التي ليست بأسماء حقيقية، وبالتالي استبعاد الكائنات غير الواقعية[3]. لذلك نجد أن هذه النظرية تتحدث عن نوعين من الأوصاف، الوصف غير المحدد والوصف المحدد. مثال النوع الأول قولنا "قرأت كتابا"، ومثال النوع الثاني قولنا "قرأت كتاب أصول الرياضيات لبرتراند راسل". فالقضية الأولى سليمة التركيب النحوي، لكنها لا تصف موضوعا محددا، لأنها لا تُحَدِّدُ عنوان الكتاب، أما القضية الثانية، فهي تصف موضوعا محددا، هو كتاب "أصول الرياضيات" لبرتراند راسل. وللتعمق أكثر في مسألة تحليل العبارات الوصفية يلجأ راسل إلى دراسة ما أسماه بـ"دالة القضية" فيقول متسائلا: "هل يمكن اعتبار كل قضية حكمًا له صلة بأي حد داخل فيها أو أنه لابد من وجود قُيُود لصورة القضية، وللطَّريقة التي يكون الحَدُّ داخلا فيها؟"[4]. لقد تبين لراسل، أنه من الضروري تحليل القضية إلى موضوع وحكم؛ لأن العلاقة بينهما، تساعدنا على تصنيف العبارة، إما مُحَدَّدَة أو غير مُحَدَّدَة، لكن الصعوبة الأكبر التي واجهها راسل لم تكن مع العبارة غير المحددة، بل كانت مع العبارات الوصفية المحددة؛ لأن تحليلها يبين لنا أن الجملة الوصفية لا تعني شيئًا وحدها بل هي تساهم في معنى القضية التي تَرِدُ فيها ككل. لذلك فعكس العبارة الوصفية الـمُبهَمَة، يحلل راسل العبارة الوصفية المَحددة في إطار القضية التي ترد فيها؛ فإذا كان لدينا الجملة الوصفية "المربع المستدير" واعتبرناها مُكَوِّنًا من مكونات قضية ما، لكان "المربع المستدير" يدل على موضوع، والقضية التي ترد فيها هذه الجملة تعبر عن واقعة، وهذا ما يريد راسل أن يَتَجَنَّبُهُ. وعلى ذلك، فالعبارة الوصفية ليست من مكونات القضية، وبالتالي ليس لها معنى بمفردها[5].

يؤكد راسل على أن العبارة الوصفية المحددة ليست بالضرورة إسماً، وإنما هي مجموعة من الألفاظ تُحَدِّد مجتمعة معنى معين يُفهَمُ من القضية التي تعبر عنها هذه الألفاظ، وهذا ما بَيَّنَهُ راسل من خلال مثاله المشهور "سكوت مؤلف ويفرلي". لكن، ما

الذي يقصده راسل بالأسماء ؟ يجيبنا بقوله:"الأسماء بالضرورة من طرازين؛ تلك التي تشير إلى جزء مستمر من المكان والزمان، وتلك التي لها تعريف ضمائري مثل "أنا" "أنت"، "هذا"، "ذاك"، ونحن مهتمون فقط بالأسماء التي تشير بلا غموض بالأساس إلى شق مستمر من المكان-الزمان"[6]. يقدم راسل حجة صورية للتمييز بين الاسم والجملة الصورية، تقوم على التفرقة بين معنيين للفظ "يكون" أو "هو"، فلفظ "يكون" الذي يرد في العبارة "سكوت هو مؤلف ويفرلي"، يعبر عن الهوية، أي "الكائن الذي يسمى سكوت متطابق مع مؤلف ويفرلي"، ولكن حين أقول "سكوت يكون فانيا" فإن "يكون" تعبر عن الحمل، وهو مختلف تماما عن "يكون" الخاصة بالهوية. والآن فإننا إذا استبدلنا "بمؤلف ويفرلي" في القضية "سكوت هو مؤلف ويفرلي" اسما ما، وليكن "ح" لأصبحت القضية "سكوت هو "ح" فإذا كان "ح" اسما لشخص آخر غير سكوت، لكانت القضية كاذبة[7]. وذلك لأن الاسم هو رمز بسيط، أما العبارة الوصفية فهي رمز مركب، ألفاظها مجتمعة هي التي تحدد المعنى، أما الاسم بما هو رمز واحد، إذا لم نكن نعرفه مسبقا، فإننا لن نفهم معناه، وبأكثر تدقيق نقول، إنه يمكن لكل من الاسم والعبارة الوصفية أن يردا في قضية واحدة، بحيث يُفهَمُ معنى العبارة الوصفية في السياق الكلي للقضية، أما الاسم إذا لم يكن يشير إلى موضوع محدد، أو إذا لم نكن على معرفة مسبقة به فإنه قد لا يعني شيئا، وهي النتيجة التي توصل إليها راسل من خلال تحليله للعبارة الوصفية.

يربط راسل إذن، معنى العبارة بالوصف، وليس بالضرورة بإشارتها إلى الأسماء وأسماء الأعلام، أي أن الوجود الفعلي للجملة لا يرتبط بوجود الشخص أو الموضوع، وإنما يرتبط بإلحاق صفة أو مجموعة من الصفات به، وهذا ما يبين لنا أيضا أن تحليل العبارة الوصفية عنده، يرتبط فقط بدالة القضية، لا بما تصفه العبارات من موضوعات. وعلى ضوء ذلك، نستطيع تفسير المثال الذي يقدمه راسل لتحليل القضية "مؤلف ويفرلي كان أسكتلنديا"، وهذه يمكن تحليلها إلى القضايا التالية:

- "س كتب ويفرلي"، ليست كاذبة دائما.

- "إذا كان س كتب ويفرلي، وص كتب ويفرلي، لكان س متطابقا مع ص"، صادقة دائما.

- "إذا كان س كتب ويفرلي، لكان س أسكتلنديا"، صادقة دائما، ولو شئنا أن نعبر عن هذه القضايا باللغة الرمزية التي استخدمها راسل لقلنا:

- القضية الأولى (E س) (هـ س).

- القضية الثانية هـ س . هـ ص ⊃ س . ص . س = ص.

- القضية الثالثة (E ح) : هـ س≡ س . س = ح[8].

وهذا ما يبين لنا أمرين مهمين، أولهما أن التحليل المنطقي الدقيق للعبارة الوصفية، يكون بتحويلها إلى دوال قضايا، وثانيا – و هذا ما لا يقل أهمية- أن هذا التحليل يوضح لنا أن العبارة الوصفية، لم يعد لها وجود، وإنما تختفي، لأنها ببساطة ليست من مكونات القضية.

ثانيا: الفلسفة التحليلية عند لدفيج فتجنشتين

يعتبر لدفج فتجنشتين أهم الفلاسفة التحليليين المعاصرين، لكونه سعى إلى تحويل الفلسفة العامة إلى فلسفة لغوية، فهو لم يكتب إلا في فلسفة اللغة، وجملة المسائل المرتبطة باللغة والمنطق، كما أنه يعتبر همزة وَصلٍ بين الوضعيين المناطقة، والفلاسفة التحليليين السابقين، خصوصا كارناب Rudolf Carnap (1891-1970) وراسل، وبين الذين تأثروا بالفلسفة التحليلية، ونخص بالذكر فلاسفة مدرسة أكسفورد مثل جون أوستين J. Austin (1911-1960) مؤسس نظرية "الأفعال الكلامية"، وجون سيرل J. Searle (1932-؟) مُطَوِر هذه النظرية.

1ـ فتجنشتين والفلسفة التحليلية

امتازت مؤلفات فتجنشتين على قلتها بعمق الطرح وجدِّيَة الأفكار، ويمكن القول عن فتجنشتين أنه فيلسوف الوضوح والغموض في الوقت ذَاتهَ، فقد دعا من خلال

فلسفته إلى التعبير عن الأفكار بأسلوب واضح، لكن الغموض هو ما يميز طريقته في التحليل. أما بالنسبة إلى فلسفته فقد عرفت تَحَوُّلاً جذرياً يعبر عنه الدارسون المتخصصون في فلسفته، بـ"فتجنشتين الأول" و"فتجنشتاين الثاني". قَدَّمَ فتجنشتين في كل مرحلة، نظرية مختلفة عن الأخرى، هما على التوالي نظرية "الرسم المنطقي للعالم" ونظرية "الألعاب اللغوية".

لقد كان فتجنشتين في نظريته الأولى مُتأثراً براسل، أو كان كلاهما متأثراً بالآخر، وقد أكد، في هذه النظرية، على أن مهمة اللغة هي التعبير عن الوقائع وتقريرها، كما أنه يوجد ضربٌ في التناظر بين بناء العبارة وبناء الواقعة، ومعنى ذلك أن فَهمَنَا الصحيح للغة سيحدد فهمنا لبناء الواقع الموضوعي. أما فتجنشتين في آرائه المتأخرة، فقد ذهب إلى أن السؤال عن تحليل قول ما، هو في الواقع مجرد سؤال عن الطريقة التي يُستخدَمُ فيها القول في سياق ما، أكثر من أن يكون السؤال عما يعنيه هذا القول في الواقع(9). مَعروفٌ أن منهج التحليل ارتبط عبر أهم مراحل الفكر الفلسفي، بالعديد من الفلاسفة، من أمثال أفلاطون وديكارت وغيرهم، وإذا كان لكل من هؤلاء هدفه الخاص من وراء التحليل، فإن التحليل هو السِّمَة الرئيسة لكل فلسفة فتجنشتين، بل يمكن وصفها بأنها فلسفة تحليلية بامتياز، تسعى إلى إزالة الغموض عن المشكلات الفلسفية، سواء من خلال تحليل قضايا العالم، أو تحليل قضايا اللغة. وقد تَرَتَّبَ عن فلسفته التحليلية، أن أصبح مفهوم الفلسفة لديه، مجرد توضيح للأفكار، عن طريق تحليل العبارات التي تصاغ فيها هذه الأفكار(10). يمكننا القول بأن رواد الفلسفة التحليلية المعاصرة هم غوتلوب فريجة Frege Gottlob (1845-1925) وراسل وجورج ادوارد مور G. E. Moore (1873-1958) وذلك لسعيهم المشترك لمحاربة الميتافيزيقا وإيجادهم طريقة جديدة في طرح ومعالجة المشكلات الفلسفية، لكن فتجنشتين هو الصورة الواضحة للاتجاه التحليلي في تطوره الأخير، والمرآة التي انعكست عليها أغراض هذه الحركة ونتائجها. ومن هنا كان الوجه المُعَبِّر عن الفكر المعاصر، بكل ما فيه من قلق و ارتباك وأزمات، بصورة أدَّت بالبعض إلى حد القول بأن معرفتنا لشيء من فتجنشتين، إنما هي معرفة من ارتباك عصرنا(11). لم يكن فتجنشتين الفيلسوف التحليلي الوحيد، لكنه كان أكثر الفلاسفة التحليليين اهتماما باللغة،

حيث قَدَّم لنا تصوراً جديداً حول اللغة، وبالتالي حول الفلسفة التي رأى فيها نشاطاً علاجياً لمشكلات العصر.

2ـ التحليل بين اللغة والعالم

يستخدم فتجنشتين مصطلح العالم بمعاني متعددة، فهو وجود وعدم وجود الوقائع الذرية، وحيث إن الوقائع الذرية غير موجودة، فإن العالم في هذه الحالة، لا يكون هو العالم الفعلي، والعالم الممكن المُكَوَّنُ من الوقائع الممكنة أيضا. ولكن الأهم في هذا الغموض، هو أن فتجنشتين يبحث في مسألة ارتباط اللغة بوقائع العالم من خلال العبارات اللغوية، التي تدل على ما هو موجود، أي أن هناك قضايا لغوية ذرية، تقابلها وقائع ذرية في العالم، وهذا ما يبين لنا أن أهم ما يميز العالم عند فتجنشتين، هو أنه مُرَكَّبٌ وليس بسيط فيكون هدف التحليل هنا، هو تبسيط المركب.

لم يؤكد فتجنشتين على الصورة الأساسية للغة فحسب، بل أكد أيضا على أن اللغة تتكون من عناصر بسيطة، وهنا يتضح مدى تأثره بفكرة راسل عن اللغة باعتبارها مُرَكَّبَةٌ من عناصر بسيطة، وهي القضايا الذرية، ومثل هذه العناصر اللغوية تعكس وقائع العالم[12]. لذا، تعتبر الواقعة هي الوحدة الأولى التي يتكون منها العالم، وإن الواقعة بدورها تتكون من وقائع ذرية، بحيث يكون لكل واقعة وجودها المستقل عن غيرها من الوقائع الأخرى، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى، فكما أن الواقعة الذرية منفصلة عن غيرها من الوقائع الذرية وعلى الرغم من إمكان ترابطها في واقعة مركبة، فكذلك ليس هناك ما يمنع من أن تكون الوقائع المركبة منفصلة بعضها عن بعض، على الرغم من ترابطها في وقائع أكثر تركيباً، وهكذا حتى نصل إلى العالم الذي يتكون من جميع الوقائع[13]. إن النظرة الذرية المنطقية في مذهب فتجنشتين، تتحدد من خلال اقترابنا من مفهوم القضية الأولية لديه، وتحليل هذه القضية على النحو الذي يجعلها – باعتبارها أبسط وحدات اللغة، التي يمكن أن نحكم عليها بالصدق أو الكذب- بمثابة رسم للواقعة الذرية الموجودة في الواقع الخارجي، من حيث ينظر إليها على أنها وحدات تحليل

للعالم. وهذا هو المفهوم الأساس، الذي جعل فتجنشتين يقابل بين القضية الأولية والواقعة الذرية[14].

لقد اتجه فتجنشتين في نظرية "الرسم المنطقي للعالم" إلى الكشف عن المستوى العميق للغة، فهو لم يتعامل مع لغة الحياة اليومية لكنه تعامل مع ما ينبغي أن نكشفه من أسس اللغة الجارية، متى اخترقنا سطحها، فإذا كانت اللغة الجارية تتخفى بصورة لا تبرز صورتها المنطقية على نحو مباشر، فإن وظيفة التحليل الفلسفي، تتمثل في كشف النقاب عنها[15]. كما سعى فتجنشتين للوصول إلى استخدام صحيح للغة، وذلك من خلال التحليل، لأن الغموض الموجود في اللغة، يرجع إما إلى أن هناك كلمة لها معاني متعددة، أو العكس، إلا أن هناك كلمات لها معنى واحد، ولقد كان لتمييز راسل بين الصورة النحوية والصورة المنطقية للقضية اللغوية، الفضل الكبير في توجه فتجنشتين إلى تحليل اللغة، فتصوراتنا الصورية (أي المعاني الكلية) لا تشير إلى الأشياء الموجودة في الواقع على نفس النحو الذي تفعله تصوراتنا: فمثلا كلمة (إنسان) لا تشير إلى فرد معين، أو آخر نطلق عليه اسم إنسان، إنما هي تشير إلى عدة صفات مشتركة بين جميع أفراد الإنسان، أما اسم العلم الجزئي، فهو يشير مباشرة إلى فرد معين[16]. ويذهب فتجنشتين إلى تحليل اللغة إلى أبسط وحداتها، فكما أن العالَم حينما يُوضَعُ تحت مجهر التحليل المنطقي ينقسم إلى وقائع، تنطوي كل واحدة منها على وقائع ذرية أخرى، تلك التي تتكون نتيجة لتشكل الأشياء وارتباطها معا بطريقة معينة، فإن اللغة كذلك تنقسم إلى قضايا، وكل قضية من هذه القضايا إنما تَنحَلُّ بالضرورة إلى ما هو أبسط منها، وهي القضية الأولية التيِ قوامُها أسماء[17].

هكذا، يتضح لنا أن غموض المشكلات في الفلسفة، إنما ينشأ عن هذا الخلط بين التصورات الكلية وبين الأسماء التي تشير مباشرة إلى موضوعات محددة، خصوصا أسماء الأعلام، لذلك رأى فتجنشتين أنه من الضروري أن تكون اللغة رسماً، أي ضرورة وجود علاقة مباشرة بين القضية اللغوية وما تشير إليه، وهذا ما تحدث عنه راسل من خلال

مفهومه للعبارات الوصفية، أو العبارات التي تشير إلى موضوع محدد، وهذا ما يطرح مسألة العلاقة بين الواقع واللغة والفكر في فلسفة فتجنشتين، خصوصا فلسفته الأولى.

يبين لنا فتجنشتين أن هناك ارتباطا بين اللغة والفكر وبين الفكر والواقع، فوجود الأشياء سابق على وجود المنطق، كما وأن المنطق بالضرورة سابق على وجود الوقائع الذرية، وهذا ما يوضح لنا الفكرة الحقيقية التي يذهب فتجنشتين إلى تأكيدها، ألا وهي أن القضية اللغوية هي تحقيق للواقعة[18]. إن هدف التحليل عند فتجنشتين في هذه المرحلة، هو تتبع العلاقة الموجودة بين بنية القضية اللغوية وبنية الواقعة التجريبية؛ لأن القضية رسم للواقعة، وهذه هي الوظيفة الأساس، التي يجب على اللغة أن تقوم بها، لذلك تصبح اللغة تصويرًا دقيقاً للواقع، وأن تركيب القضية الصادقة، يطابق تركيب الواقعة التي تدل عليها.

3. تحليل اللغة بما هي نشاط أو ممارسة

لقد تخلى فتجنشتين في فلسفته المتأخرة، عن فكرة أن معنى الاسم هو ما يشير إليه، وأصبح يُفَرِّقُ بين الاسم وما يدل عليه، فبين لنا أن المعنى لم يعد ينحصر في العلاقة بين القضية اللغوية والواقعة التجريبية، وإنما يرتبط بالسياقات المتنوعة التي تُستخدَم فيها عبارات اللغة. يقول فتجنشتين متسائلاً: "ما هي العلاقة بين الاسم ومُسَمَّاه؟ حسنا ما هي؟ إن العلاقة قد تتوقف -من أشياء أخرى كثيرة- على أن سماعنا للاسم يستدعي أمام ذهننا صورة الشيء المسمى. كما أنها قد تعتمد -من بين أشياء كثيرة أخرى، على كون الاسم مكتوبا على الشيء المسمى- أو كونه منطوق به عند الإشارة إلى ذلك الشيء المسمى"[19]. ولا يعنى هذا، أن العبارة لم يعد لها معنى محدد، وإنما على المتكلِّم أن يستخدم الكلمات بطريقة صحيحة، وإلا أصبحت العبارة التي ترد فيها الكلمات خالية من المعنى، وإن فتجنشتين بهذا إنما يريد أن يُوَضِّحَ أنه لو كان معنى الكلمة مستقلا ومنفصلا عن استخدامها، لكانت ذات معنى موحد دائما في كل السياقات التي ترد فيها ولكان للعبارة التي ترد فيها – حتى ولو استخدمت بطريقة خاطئة- معنى أيضا[20]. هكذا، أصبحت اللغة مع فتجنشتين نشاطاً وفعلاً إنسانياً تواصلياً، لا يتحدد فيه المعنى بصفة مسبقة، وإنما

يرتبط بهذا النشاط بما هو فعل وممارسة أو استعمال؛ فعندما نقول: "مؤلف كتاب" كيف تصنع الأشياء بالكلمات" **هو** جون أوستين" ونقول أيضا: "إن حاصل مجموع واحد زائد واحد **هو** اثنان"، فإننا نلاحظ أن كلمة "هو" لها معنى مختلف في كلا القضيتين؛ ففي الأولى أدت معنى نسبة مؤلَّف إلى مؤلِّف، أما في الثانية فأدت معنى حاصل مجموع عددين، وإن هذا الاختلاف، يبين لنا أن المعنى لا يرتبط بالواقع، كما كان يعتقد الوضعيون المناطقة، وإنما باستعمالنا للكلمات، في سياق لغوى معين.

حقاً، يعتبر فتجنشتين نقطة تحول بارزة في الفلسفة التحليلية المعاصرة، من خلال تعديله لآرائه وتخليه عن مفهوم اللغة الشكلية أو الرمزية، كما كانت مع راسل وكارناب، وتوجه في فلسفته المتأخرة إلى البحث في اللغة العادية، حيث يقول: "يملك الإنسان القدرة على بناء اللغة، من خلال الإمكانيات التي تسمح له بالتعبير عن كل المعاني، حتى ولو لم تكن لديه فكرة حول ما تعنيه كل كلمة، ولا كيف تعني، مثلما أنه يتكلم دون معرفة بكيفية تَكَوُّن الاختلافات بين الأصوات. إن اللغة المستعملة هي بمثابة جزء من التنظيم الإنساني"[21]. لقد ذهب فتجنشتين، في آرائه المتأخرة، إلى أن السؤال عن تحليل قول ما، هو في الواقع مجرد سؤال عن الطريقة التي نستخدم فيها القول في سياق ما، أكثر من أن يكون السؤال عما يعنيه هذا القول في الواقع حيث توصل فتجنشتين في هذه المرحلة، إلى أن طريقة توضيح المشكلات الفلسفية، لا يتحقق بترجمتها إلى اللغة الصورية، بل بالأحرى، بالإشارة إلى أن الإرباك الفلسفي إنما ينشأ من سوء استخدام اللغة العادية[22]. وعلى كل حال، فإن فكرة فتجنشتين هذه عن اللغة العادية، قد أتاحت له إلى حد ما الهروب من المتناقضات التي ظهرت في نظرية "الرسم المنطقي للعالم"، وهكذا ترك لنفسه الحرية لأن يطور فكرته عن الفلسفة بوصفها علاجا للالتباسات اللغوية.

لم ينكر فتجنشتين في فلسفته الأخيرة إمكانية وجود معنى مرتبط بتغيير منطق اللغة إلا أنه بدلاً من اعتبار الكلمات مجرد عناصر في حساب منطقي، فإنه رأى الكلمات والجمل أشبه ما تكون بالوسائل أو الأدوات، التي نستخدمها في المواقف الحياتية المختلفة. وبدلاً أيضا، من النظر إلى الكلمات كموضوعات تحمل معاني ثابتة، نظر إليها

كوسائل كل منها له فئة من الاستعمالات المتنوعة، وهكذا انتقل إلى مجال تحديد طابعها الوظيفي العملي[23]. وتكمن أهمية هذا التصور، في تأكيده على أن المشكلات الفلسفية تنتج عن سوء استخدامنا للغة. وحتى ولو أن كارناب هو من قال بهذه الفكرة من قبل، عندما دعا إلى ضرورة التخلي عن العبارات الميتافيزيقية، وإيجاد لغة فلسفية دقيقة، إلا أن الجديد الذي جاء به فتجنشتين، يتمثل في توجهه إلى دراسة اللغة العادية، حيث تبين له أن الصعوبة في طرح وعلاج المشكلات الفلسفية، ترجع إلى النمطية الفلسفية، التي ينبغي تجاوزها عن طريق تحليل اللغة العادية التي نظر إليها على أنها لعبة: "هنا يصيح المقصود من مصطلح "لعبة-لغة" إبراز حقيقة معينة، هي أن تكلم اللغة هو جزء من الفاعلية، أي صورة من صور الحياة"[24]. فما معنى لعبة اللغة إذن ؟ ليست اللغة حسابا منطقيا دقيقا لكل كلمة معنى محدد، بحيث يمكنك الانتقال من جملة ما إلى ما يلزم عنها من جمل حسب قواعد الاستدلال المنطقي، لكن الكلمة الواحدة تتعدد معانيها بتعدد استخدامنا لها في الحياة اليومية[25]. ولا يعني هذا، أنه توجد بين اللغة ومفهوم اللعبة مجرد علاقة تشابه، بل إن اللغة لعبة فعلاً، تُمارَس وفق قواعد معينة، مثلما تمارس أية لعبة أخرى. ولكي يوضح لنا فتجنشتين أكثر كيف تكون اللغة لعبة، يقدم لنا بعض الأمثلة قائلا:

"تصور تعدد ألعاب اللغة، كما يتضح من الأمثلة التالية، ومن غيرها:

- إصدار الأوامر، وإطاعتها.
- وصف مظهر شيء ما، أو ذكر مقاييسه.
- تكوين موضوع ما حسب الوصف (كالرسم).
- ذكر أو تقرير حادثة.
- ذكر احتمالات مختلفة عن حادثة معينة.
- تكوين الفرض واختباره"[26].

هكذا، تظهر لنا طبيعة التحول الذي حدث في فلسفة فتجنشتين، من خلال المصطلحات التي استخدمها، فبعد أن كان يتحدث في نظرية "الرسم المنطقي للعالم" عن اللغة الصورية والبنية المنطقية والواقع، أصبح يتحدث في نظرية "الألعاب اللغوية" عن اللغة العادية والاستعمال والتواصل. لكن، رغم هذا التحول الذي حدث في الفلسفة

اللغوية عند فتجنشتينن إلا أن أهميتها تكمن في أنها وجهت الفلاسفة المعاصرين إلى الاهتمام أكثر باللغة، خصوصا اللغة العادية، وهذا ما حدد مسار الفلسفة التحليلية فيما بعد، خصوصا عند فلاسفة "مدرسة أكسفورد"، وتحديدا مع جون أوستين وجون سيرل.

ثالثا: نظرية أفعال الكلام عند جون أوستين.

يعتبر جون أوستين من أهم الفلاسفة التحليليين، الذين اشتغلوا على دراسة اللغة العادية، ذلك أن ما يميزه هو نقده لمفهوم اللغة عند الوضعيين المناطقة من أمثال رودلف كارناب من جهة، وكذا تأثره بفلسفة لدفج فتجنشتاين، خصوصا المتأخرة، من جهة أخرى، وهذا ما مَكَّنَهُ من تأسيس فلسفة لغوية تحليلية جديدة تعبر عنها نظرية "أفعال الكلام". فما مضمون هذه النظرية ؟ وما هو مفهوم الفعل الكلامي؟ وما هي شروطه ومبادئه ؟

1ـ جون أوستين واللغة العادية

لقد رفض جون أوستين، المفهوم والوظيفة التي حددها أغلب الوضعيين المناطقة للغة، عندما ربطوا مسألة معنى العبارات، بما تدل عليه في الواقع، فحصروا طبيعة ووظيفة قضايا اللغة في التعبير عن وقائع العالم، وهذا ما قصده كارناب عندما قال: "إن لغة الملاحظة غنية في الجمل التحليلية، ومعناها أوسع بكثير، ومن ثم يمكن نعت هذه الجمل بالصدق والكذب، إذا فهمنا معاني الحدود الواقعية والمنطقية معا"[27]. وحول هذا التصور تحديداً، كان اعتراض جون أوستين، وهذا ما أكده في قوله: "لقد افترض الفلاسفة منذ مدة طويلة أن وظيفة الحكم ليست سوى وصف حالة الشيء أو إثبات واقعة معينة، وهذا ما يجعل من هذا الحكم إما صادقاً وإما كاذباً"[28]. معروف أيضا أن الوضعيين المناطقة عموما اتجهوا إلى العمل على تجاوز غموض الإشكاليات الفلسفية التقليدية، والبحث عن اصطناع لغة رمزية دقيقة، من خلال الاشتغال على تحليل قضايا العلم، فكان شعارهم محاربة الميتافيزيقا من خلال مبدأ التحقق الذي يميز بين القضايا

الصادقة ذات المعنى التي هي قضايا العلم، والقضايا الكاذبة الخالية من المعنى التي هي قضايا الميتافيزيقا.

لقد أنكر أوستين أن تقتصر وظيفة اللغة على وصف وقائع العالم، وتقرير ما فيه من خبرات، ورأى أن هناك نوعاً آخر من العبارات، تشبه العبارات الإخبارية في تركيبها، لكنها لا تصف وقائع العالم، ولا تُوصَفُ بالصدق والكذب، وهي تمثل جزءً كبيراً من اللغة، خصوصا العادية منها؛ إنها تلك العبارات الإنشائية التي لا تخبر، وتحمل معاني متعددة كالتعجب مثلا، والأمر والتوصية، وغيرها من الأساليب الإنشائية. وقبل أن نفصل أكثر في التقسيم الذي قدمه جون أوستين لأنواع القضايا اللغوية، وبالتالي تأسيسه لمفهوم "الفعل الكلامي" وشروطه وأقسامه، لا بد أن نؤكد على تنوع مصادر نظرية أفعال الكلام، ذلك أن: "نظرية الفعل الكلامي ليس لها فقط في المقام الأول جذور لغوية، ففي بواعثها تشير إلى الفلسفة البراغماتية لبيرس، لم يؤد مسار التطور منها إلى علم العلامات الحديث فقط (إلى مورس وأخيرا إلى كلاوس مثلا) وإلى نظريات اجتماعية (أو اجتماعية فلسفية) للفعل (مثل ريد) بل إلى الفلسفة التحليلية لفتجنشتاين"[29].

لم تعد اللغة إذن، قائمة مُحَدَّدَة من الكلمات، حيث تستقل كل كلمة بمعناها، لا بالمفهوم الذي نجده عند الوضعيين المناطقة، ولا حتى بالمفهوم الذي نجده عند دو سوسير de Saussure (1857-1913)، الذي رأى أن اللغة هي نظام من العلامات اللغوية، وإنما: "أصبح مفهوم "الفعل الكلامي" على نحو مضاد أساسيا ومحوريا في مقابل النظام المجرد، ويُفهَمُ هذا الفعل الكلامي في إطار الأفعال، ومن ثم فهو متضمن في ترابطات أشمل للنشاط. إن الأمر ليتعلق بتحول في الفكر في علم اللغة، من خلال التطلع إلى فصل خواص الاستعمال اللغوي عن خواص النظام اللغوي"[30]. ويبين لنا أوستين في كتابه "كيف تصنع الأشياء بالكلمات" أن الجمل تنقسم إلى نوعين: الإخبارية التي تصف ما هو موجود في الواقع، والإنشائية أو الأدائية التي لا تصف ويسميها بـ"أفعال الكلام".

2ـ مفهوم الفعل الكلامي وشروطه

يؤكد جون أوستين على أن ما يختص به الكلام، ليس مجرد وصف لما هو موجود من أفعال، بل إن الكلام في حد ذاته فعل. لقد تبين لأوستين، أن هناك قسماً كبيراً من القضايا اللغوية، لا يصف ولا يخبرنا عن العالم، وإنما يؤدى وظائف أخرى كالاستفهام والتمني وغيرهما. وبالتالي، فأن تنطق بجملة فلا يعني ذلك بالضرورة أن تصف أو تخبر، وإنما:" النطق بالجملة هو انجاز تام لفعل كلامي، أو لجزء من هذا الفعل"[31]. أي أن الفعل الكلامي هو أن تعطي دلالة للشيء من خلال النطق به، فإذا كان معنى القضية عند الوضعين المناطقة مرتبط بمدى تحقق هذا المعنى في الواقع فإن معنى الكلام في "نظرية أفعال الكلام" عند جون أوستين مرتبط بفعل النطق، حيث يصبح الشيء موجوداً، بمجرد النطق به.

لكن، أهم ما يميز الأفعال الأدائية (أفعال الكلام)، عن الأفعال الإخبارية (الوصفية)، أن للأخيرة خاصية أن تكون صادقة أو كاذبة، في حين أن الأدائية ليست لها هذا الخاصية، إذ هي تُستَخدَمُ لإنجاز فعل، كالتسمية والاعتذار والترحيب والنصح وغيرها...الخ و من ثم فهي لا توصف بالصدق ولا بالكذب بل تكون مُوَفَّقَةً كما أطلق عليها أوستين، إذا راعى المتكلم شروط أدائها[32]. وغير مُوَفَّقَةً إذا لم يراع هذه الشروط. ولنقدم الأمثلة التالية حول بعض الأفعال الكلامية ثم نحاول بعد ذلك التعمق في مفهوم الفعل الكلامي عند أوستين، من خلال الحديث عن شروط هذا الفعل، فلنلاحظ:

- أقبل منك هذا الكتاب هدية.
- أسمي كتابي الجديد "فلسفة اللغة".
- أعتذر عما بدر مني.

إن ما يلاحظ على هذه الأمثلة، أنها لا تصف حالة واقعية، بحيث يمكن العودة إلى الواقع للتأكد من صدق أو كذب هذه الجمل وإنما هي أفعال كلامية، حيث أدت الجملة الأولى فعل الموافقة، والثانية أدت فعل التسمية، أما الثالثة فأدت فعل الاعتذار، أي

أن النطق بالقول، هو انجاز لفعل كلامي. لكن هل يتم انجاز الفعل انجازا تاما بمجرد النطق به ؟

لقد أطلق أوستين على الشروط التي تتحقق بها الأفعال الأدائية الصريحة شروط الملاءمة، وحصرها في ثلاثة أنماط أساسية، وذلك على النحو التالي:

- وجود إجراء عرفي مقبول، وله أثر عرفي محدد، كالزواج مثلا، وأن يشمل هذا الإجراء على كلمات محددة وينبغي أن يكون الأشخاص مناسبين لهذا الإجراء المحدد.

- ينبغي أن يؤدي الأشخاص المشاركون في الإجراء بطريقة صحيحة، بالابتعاد عن العبارات الغامضة، كما يجب على المشاركين فيه، أن تكون لديهم الأفكار والمشاعر التي يتطلبها الإجراء، وبالتالي على المشارك في الإجراء، أن يوجه نفسه إلى ما يستتبعه ذلك من سلوك ظاهر(33).

د يُؤَدَّى الفعل الكلامي بصفة كلية أو بصفة جزئية، وذلك بحسب احترام المتكلم شروط الملاءمة في الفعل الكلامي، وعلى الرغم من أن أوستين قد أكد مسبقا على أن الفعل الكلامي قد لا يكون ناجحا بالضرورة، خصوصا إذا خالف القواعد السابقة الذكر، إلا أنه يتبين لنا من خلال هذه الشروط أنها لا تصلح أن تكون بهذه البساطة كقواعد للكلام، تسير وفقها اللغة العادية؛ وذلك لوجود عدة معوقات أهمها صعوبة الاطلاع على الحالة النفسية للمتكلم، إضافة إلى أنه قد يتم النطق بكلمات محددة إزاء عرف معين سواء كان زواجا أو تجارة أو أي عرف آخر، كما أنه قد يكون الأشخاص مناسبين لهذا الإجراء العرفي لكن قد تتغير أفكار وكلمات أحد الشخصين فيما بعد، ويتم التراجع عن هذا الفعل ولن يصبح له معنى في هذه الحالة.

3ـ أقسام الفعل الكلامي

لقد تبين لجون أوستين، أنه على الرغم من تمييزه بين الأفعال الإخبارية الوصفية، والأفعال الإنشائية الأدائية، أو ما أسماه بالأفعال الكلامية، إلا أن ذلك لم يكن على قدر كبير من الوضوح، خصوصا من ناحية التمييز التام بين النوعين، بل إن الشروط التي

وضعها لنجاح الأفعال الكلامية بقيت غامضة ولم تساهم كثيرا في توضيح طبيعة الفعل الكلامي، وهذا ما جعل جون أوستين، يتعمق أكثر في مفهوم الفعل الكلامي من خلال تمييزه بين أقسام الفعل الكلامي، وهنا يقول: "إننا نميز بصفة مختصرة بين ثلاثة أقسام للفعل الكلامي: الفعل النطقي والفعل الإنجازي والفعل التأثيري، ونريد أن نوضح بوجه عام معنى هذه المقولات الثلاث، مع التأكيد على أنها لا تخرج عن معنى استعمال اللغة"(34). وهو المعنى الذي كان فتجنشتاين قد أكد عليه من قبل.

أ- الفعل النطقي أو اللفظي: يتكون من أصوات لغوية ينتظمها تركيب نحوي صحيح ينتج عنه معنى محدد، هو المعنى الحرفي أو الأصلي المفهوم من التركيب وله مرجع يحيل إليه.

ب- الفعل الإنجازي: ويقصد به ما يؤديه الفعل اللفظي من وظيفة في الاستعمال، كالوعد والتحذير والأمر والنصح...الخ.

ج- الفعل التأثيري: وهو الأثر الذي يحدثه الفعل الإنجازي في السامع أو الـمُخاطَب، سواء كان تأثيرا جسديا أو فكريا أو شعوريا(35). والمثال التالي يوضح أقسام الفعل الكلامي، كما حددها جون أوستين، كأن يقول أحدهم: ما أروعها من رواية ! فالفعل اللفظي هنا هو التركيب النحوي والصوتي لهذه الجملة بشرط أن يكون موافقا لقواعد اللغة المعروفة. أما الفعل الإنجازي، فهو ما يقصده المتكلم، أي "إعجابه" بمضمون الرواية. في حين أن الفعل التأثيري، هو ما يتركه هذا القول من أثر على المستمع، قد يكون "التحمس لقراءة الرواية" مثلا.

هنا، يظهر لنا أن أقسام الفعل الكلامي، لا تعتبر مجموعة منفصلة من الأفعال الكلامية، وإنما تشكل مجتمعة فعلا كلاميا واحدا، أو أوجها له. وعلى الرغم من أن أوستين رأى أنه لا يمكن أن ينعقد الفعل الكلامي دون الفعل النطقي، إلا أنه أولى أهمية كبيرة للفعل الإنجازي، لأنه يرتبط بمقصد المتكلم ،كما أن تمييز أوستين بين هذه الأقسام يدخل في إطار تأكيده على أن الفعل الكلامي لا يرتبط بالواقع مباشرة وأن معناه لا يحتكم

إليه، وإنما بنطق ذلك الفعل، أي بالمستوى اللغوي في حد ذاته، إذ يكفي التكلم بشيء حتى يَثْبُتَ وجوده أو تحققه.

على الرغم من ذلك، فإن نظرية أفعال الكلام عند أوستين تحمل الكثير من النقائص والتناقضات. فلم يستطع أوستين إجمالا، أن يحقق الهدف المذكور في البداية من وضع نظرية مُرَكَّبَة للأفعال الكلامية ذاتها، بل إنه قد طرح مداخل إلى بعض المفاهيم المحورية فقط، كما رأى أن مهمته تحليل اللغة بوجه خاص، وليس تحليل العلاقة بين اللغة والنشاط الاجتماعي... ويظل غير واضح إلى حد بعيد أيضا وضع العرفية بالنسبة للأفعال الإنجازية، ولا سيما أن أوستين بوجه خاص، قد اقتصر على إجراءات مؤسسية واحتفالية، مثل الزواج والرهان، وتجرد من الواقع الاجتماعي المعقد[36]. وعلى الرغم من هذه النقائص التي تحملها نظرية "أفعال الكلام" عند أوستين، إلا أنها تبقى من أكبر الإسهامات في الدراسات اللغوية المعاصرة، خصوصا من ناحية اهتمامها باللغة العادية بما هي تواصل بين الذوات المتكلمة، وهذا ما انطلق منه جون سيرل فيما بعد عندما طور نظرية "أفعال الكلام".

رابعا: تطوير جون سيرل لنظرية أفعال الكلام

يتفق أغلب المتخصصين على أن التطور الحقيقي لنظرية أفعال الكلام، كان مع جون سيرل، حيث اتضحت معه معالم نظرية متكاملة، وإن كان الفضل في ذلك يرجع إلى جون أوستين؛ لأنه أرسى قواعد هذه النظرية، ووَضَّحَ مفهوم الفعل الكلامي وميز بين أقسامه، وهذا ما يقر به جون سيرل ذاته عندما يقول: "عندما أنفث واحدة من تلك النفثات السمعية في موقف كلامي اعتيادي فيمكن القول أنني أؤدي فعلا كلاميا. وتقع الأفعال الكلامية في عدة أنواع، فبواسطة هذه النفثات السمعية، أصدر حكما أو أسأل سؤالا، أو أصدر أمرا، أو أطلب طلبا، أو أفسر مشكلة علمية، أو أتنبأ بحدث في المستقبل. وقد عُمِّدَت جميع هذه الأفعال الكلامية وبعض الأمثلة المشابهة لها من لدن الفيلسوف البريطاني جون لانغشو أوستين"[37]. وإن كان موقف جون سيرل لم يبدأ من

فراغ، إلا أنه عرف كيف يتجاوز جون أوستين، ويعطي للفعل الكلامي أبعادا جديدة، جعلته يقدم تصورا جديدا حول مفهومه وأقسامه، على وجه الخصوص.

1ـ تعديل أقسام الفعل الكلامي

إن أول ما اعترض عليه جون سيرل هو تقسيم الفعل الكلامي، الذي قدمه جون أوستين، حيث رأى أنه لا يقتصر على الأقسام الثلاث، وإنما يتعداه إلى أربعة أقسام هي على التوالي:

- الفعل النطقي: ويتمثل في نطقك الصوتي للألفاظ، على نسق نحوي ومعجمي سليم.

- الفعل القَضَوي: ويتمثل في المرجع، الذي هو محور الحديث، والخبر هو ما يتم الإخبار به. والمرجع والخبر يشكلان معا قضية، هي المحتوى المشترك بينهما.

- الفعل الإنجازي: وهو مقصد المتكلم من الفعل الكلامي.

- الفعل التأثيري: هنا ينبغي أن نشير إلى أن جون سيرل، لم يول أهمية كبيرة للفعل التأثيري، لأنه ليس من الضرورى عنده أن يكون لكل فعل تأثير في السامع(38). والمثال التالي يوضح التقسيم الجديد، الذي أعطاه جون سيرل للفعل الكلامي:

أ- ينجز الطالب البحث ب- هل أنجز الطالب البحث؟

ج- أيها الطالب أنجز البحث د- لو ينجز الطالب البحث.

إن الفعل النطقي، هو النطق الصوتي السليم لكل كلمات الجملة، أما الفعل القضوي فيتكون من المرجع أو المتحدث عنه، أي موضوع الكلام، والذي هو الطالب، أما الخبر أو المتحدث به، فهو فعل انجاز البحث. أما القضية، التي هي مجموع المرجع والخبر، فهي انجاز الطالب للبحث. أما بالنسبة إلى الفعل الإنجازي فهو يختلف من فعل إلى آخر، فهو الإخبار في الأولى، والاستفهام في الثانية والأمر في الثالثة والتمني في الرابعة. وهنا يجب أن نؤكد كما أكد على ذلك جون سيرل، أن الفعل الأخير والذي هو الفعل التأثيري، ليس له أهمية كبيرة، وهو يبرر موقفه هذا قائلا: " نمطياً، يجب أن تُؤَدَي الأفعال الكلامية التمريرية إذا لم تقصد أن تعطي وعدا، أو تصدر حكما إذن فأنت لم تطلق وعدا أو

حكما. غير أن الأفعال التأثيرية، لا يجب أن تؤدى قصديا بالضرورة، قد تقنع شخصا بشيء ما، أو تدفعه إلى فعل شيء، أو تزعجه، أو تحيره دون أن تقصد ذلك، وكون الأفعال التمريرية هي قصدية في الجوهر بينما الأفعال التأثيرية، قد تكون وقد لا تكون قصدية، هي نتيجة مترتبة على كون الفعل التمريري، هو وحدة المعنى في الاتصال"[39]. وهكذا، إذا كان جون أوستين يقسم الفعل الكلامي إلى فعل نطقي وفعل انجازي وفعل تأثيري، فإن جون سيرل يضيف إليهما فعلا رابعاً، يسميه بالفعل القَضَوي ينقسم بدوره إلى المرجع والخبر، مع إهماله للفعل التأثيري، كون الفعل الكلامي يبقى دائما مرتبطا بقصد المتكلم، لا بموقف المستمع.

2ـ ربط الفعل الكلامي بالعرف اللغوي والاجتماعي

لقد رأى جون أوستين، أن قصد المتكلم لا يكفى لوحده في تحقيق شرط التواصل بين المتكلم والمستمع إذا لم يكن كلاهما ينتميان إلى نفس الوسط اللغوي والاجتماعي، فالمعنى في نظرية أفعال الكلام عند جون سيرل، أكثر من مسألة قصد كما كان يعتقد جون أوستين، إنه مسألة عرف اجتماعي، وهذا ما يؤكده جون سيرل في قوله: "نحن لا ننجح في أفعالنا بمجرد جعل الآخرين يتعرفون على ما نحاول القيام به. لا أستطيع مثلا أن أفوز في سباق، أو أصير رئيسا للولايات المتحدة، بمجرد جعل الناس يتعرفون على قصدي في الفوز بالسباق، أو في أن أصير رئيسا. ولكن، حينما أحاول أن أخبر أحدا بأن السماء تمطر فأنا أنجح في إخبارهم حالما **يتعرفون** على أنني أحاول إخبارهم بشيء، وأن ما أحاول إخبارهم به هو بالضبط ما يجري"[40]. والمثال التالي يوضح لنا أكثر هذا التَّصَوُّر، فجندي أمريكي تأسره القوات الايطالية، ولكنه يريد إن يدعي أنه ضابط ألماني حتى يُطلَقَ سراحه، ولما كان لا يجيد اللغة الألمانية ولا الايطالية، فقد توجه إلى أحد الايطاليين بهذه الجملة "أتعرف الأرض التي يزهر فيها الليمون؟"(يذكرها من أيام الدراسة)، وهكذا فهو يقصد تأثيرا معينا وهو أن الايطاليين ينبغي أن يظنوا أنه ضابط ألماني، إنه يريد أن يحدث هذا الأثر من خلال فهم الايطاليين قصده ولكنه لا ينتج عن ذلك[41]. إن هذا ما يثبت أن المعنى يتجاوز مقصد المتكلم، ويتعداه إلى مسألة العرف

والوسط الاجتماعي المشترك بينه وبين المستمع حتى يتم المعنى. وعليه فإن جون سيرل، سعى إلى إعادة تأسيس الفعل الكلامي على ثنائية المتكلم والمستمع معا، عكس ما كان عليه مع جون أوستين، وهذا ما أعطي لنظرية أفعال الكلام بعداً تواصلياً.

3ـ تمييزه بين الأفعال الإنجازية المباشرة وغير المباشرة

رأينا من قبل كيف أن جون أوستين أولى أهمية كبيرة للأفعال الإنجازية، حتى أن بعض الدارسين يسمون نظرية أفعال الكلام عنده بنظرية "الأفعال الإنجازية"، إلا أن جون سيرل لم يتوقف عند حدود الفعل الإنجازي وتحقيق قصد المتكلم، وإنما تعمق في المسألة أكثر وتتبع أبعادها المتنوعة، أي مسألة العلاقة بين الفعل الإنجازي والقصد، فميز على أساس هذه العلاقة بين نوعين من الأفعال الإنجازية: يسمى النوع الأول بالأفعال الإنجازية المباشرة، أما الثاني فيسمى بالأفعال الإنجازية غير المباشرة. فما الذي يقصده جون سيرل بهما ؟ إن الأفعال الإنجازية المباشرة هي التي تتطابق قوتها الإنجازية مع مقصد المتكلم فيكون معنى ما ينطقه مطابقا تماما لما يريد قوله، وهو ما يتمثل في معاني الكلمات التي تتكون منها الجملة، وقواعد التأليف التي تنتظم بها الكلمات في الجملة، ويستطيع السامع أن يصل إلى مُراد المتكلم بإدراكه لهذين العنصرين معا. أما الأفعال الإنجازية غير المباشرة، فهي التي تخالف فيها قوتها الإنجازية مراد المتكلم؛ فالفعل الإنجازي يؤدي على نحو غير مباشر، من خلال فعل انجازي آخر(42). هكذا، فإن ما يحسب لجون سيرل، هو تمييزه بين قصد المتكلم من جهة، ومدى نجاحه الفعلي في التعبير عن ذلك القصد من جهة أخرى، مع العلم أن جون أوستين من قبل، لم يتحدث سوى عن المعنى اللغوي والمعنى الذي يريد المتكلم التعبير عنه.

الخاتمة:

عطفا على ما سبق ذكره، يتبين لنا أن الفلسفة التحليلية المعاصرة جاءت لتقدم قراءة جديدة لمفهوم الفلسفة ووظيفتها من خلال الاشتغال على اللغة التي تصاغ منها الإشكاليات الفلسفية في حد ذاتها، فتمثل الجديد الذي جاء به راسل في أنه عند دراستنا للقضايا فإننا ندرس رموزا، بشرط أن يكون لهذه الرموز معنى، أي أنها تصف شيئا ما،

حيث بينت لنا نظرية "الأوصاف" أن العلاقة بين القضية والجملة، تكمن في أن الجملة هي مجموعة من العبارات أو الكلمات. أما القضية فهي الحكم الذي تقرره الجملة، أي أنه يمكن لمجموعة من الجمل أن تحمل قضية واحدة.

أما بالنسبة إلى فتجنشتين، فقد كان هدفه في كل مراحل فلسفته، سواء المتقدمة أو المتأخرة، هو تحليل اللغة، وإن كان التحليل أكثر وضوحا في فلسفته الأولى، لأنه اشتغل على موضوعات العالم واللغة والفكر والعلاقات القائمة بينها؛ لأن التحليل في تلك المرحلة سلك الطريق المعتاد، من المركب إلى البسيط؛ أما التحليل في فلسفته المتأخرة فاتجه إلى اللغة العادية مباشرة، للبحث في مسألة مدى ارتباط معنى العبارات بالاستعمال.

كما يتبين لنا أن نظرية "أفعال الكلام"، تمثل مرحلة جد متقدمة من مراحل الفلسفة التحليلية، التي تدرس اللغة العادية، والتي تجلت معالمها مع فتجنشتين، على اعتبار أن ما استفاده جون أوستين منه هو هذا التوجه إلى اللغة، بما هي نشاط وممارسة، فكان لأوستين أن ثَمَّن قيمة هذا الجانب في اللغة واستثمر النتائج المترتبة عنه بالحديث عن الفعل الكلامي، وإمكانية إعطاء معاني للأشياء دون العودة إلى الواقع، بل بمجرد التكلم عنها أو النطق بها، وهذا ما يحسب لصالحه، لأنه جعل اللغة العادية موضوع تأمل وبحث فلسفي إلى أن جاء جون سيرل، وأعطى هذا التصور أبعادا جديدة، أهمها البعد التواصلي للنشاط اللغوي، فتبين لنا معه أننا لا نتكلم لكي نصنع الأشياء فقط، وإنما لكي نتواصل مع الآخرين.

الإحالات

(1) - برتراند راسل، ما وراء المعنى والحقيقة، ترجمة مُحَمَّد قدري عمارة، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، القاهرة، 2005، ص 207.

(2)- - برتراند راسل، أصول الرياضيات، ترجمة مُحَمَّد مرسي أحمد، دار المعارف بمصر، القاهرة، 1958، ص 46.

(3) - مُحَمَّد مهران رشوان، دراسات في فلسفة اللغة، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، 1998، ص 51.

(4) - برتراند راسل، أصول الرياضيات، المرجع السابق، ص 147.

(5) - مُحَمَّد مهران رشوان، دراسات في فلسفة اللغة، المرجع السابق، ص 56.

(6) - برتراند راسل، ما وراء المعنى والحقيقة، المرجع السابق، ص 100.

(7) - مُحَمَّد مهران رشوان، دراسات في فلسفة اللغة، المرجع السابق، ص 59.

(8) - المرجع نفسه، ص 62.

(9) مُحَمَّد مهران رشوان، فلسفة اللغة، دار المسيرة للنشر والتوزيع، ط1، الأردن، 2012، ص 53.

(10) عزمي إسلام، لدفج فتجنشتين، دار المعارف، القاهرة، ص 77.

(11) مُحَمَّد مهران رشوان، فلسفة اللغة، المرجع السابق، ص 76.

(12) - عزمي إسلام، لدفج فتجنشتين، المرجع السابق، ص 8.

(13) - المرجع نفسه، ص 90.

(14) - ماهر عبد القادر مُحَمَّد على، فلسفة التحليل المعاصر، دار النهضة العربية، بيروت، 1985، ص 258.

(15) - مُحَمَّد مجدي الجزيري، المتشابهات الفلسفية لفلسفة الفعل عند فتجنشتين، المرجع السابق، ص 42.

(16) - عزمي إسلام، لدفج فتجنشتين، المرجع السابق، ص 141.

(17) - ماهر عبد القادر مُحَمَّد على، فلسفة التحليل المعاصر، المرجع السابق، 253.

(18) - المرجع نفسه، ص 268.

(19) - لودفيج فتجنشتين، بحوث فلسفية، ترجمة وتعليق عزمي إسلام، مطبوعات جامعة الكويت، 1990، ص 68.

(20) ترجمة عزمي إسلام، لدفج فتجنشتين، المرجع السابق، ص 149.

(21) - Ludwig Wittgenstein, Tractatus logico-philosophiques, édition Gallimard, Paris, 1993, p 50.

(22) - مهران رشوان، دراسات في فلسفة اللغة، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، 1998، ص 40.

(23) - مُحَمَّد مجدي الجزيري، المتشابهات الفلسفية لفلسفة الفعل عند فتجنشتين، المرجع السابق، ص 45.

(24) - لودفيج فتجنشتين، بحوث فلسفية، المرجع السابق، ص 60.

(25) - محمود فهمي زيدان، في فلسفة اللغة، المرجع السابق، ص 57.

(26) - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(27) - رودلف كارناب، الأسس الفلسفية للفيزياء، ترجمة السيد نفادي، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، 2003، ص293.

(28) - J. L. Austin : Quand dire, C'est faire., édition du Seuil, Paris., 1994., p.37.

(29) - جرهارد هلبش، تطور علم اللغة من 1970، ترجمة سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2007، ص 269.

(30) - المرجع نفسه، ص 267.

(31) -J. L. Austin, Op.cit., p.40.

(32) - محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، مكتبة الآداب، القاهرة، 2011، ص 65.

(33) - المرجع نفسه، ص 66.

(34) - J. L. Austin, Op.cit., p.115.

[35] - محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، المرجع السابق، ص 70.

[36] - جرهارد هلبش، تطور علم اللغة من 1970، المرجع السابق، ص 279.

[37] - جون سيرل، العقل واللغة والمجتمع، الفلسفة في العالم الواقعي، ترجمة سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2006، ص 201.

[38] - محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، المرجع السابق، ص 75.

[39] - جون سيرل، العقل واللغة والمجتمع، الفلسفة في العالم الواقعي، المرجع السابق، ص 202.

[40] - المرجع نفسه، ص 212.

[41] - جرهارد هلبش، تطور علم اللغة من 1970، المرجع السابق، ص 286.

[42] - محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، المرجع السابق، ص 84.

تاريخ الإيداع:**2015/01/24** تاريخ القبول:**2015/05/15**